غادة شبير: أبحث عن أعمال تراثيّة وأقدم ما يستأهل أن يبصر النور

كتب: بيروت - مايا الخوري

نشر في :: 23, November 2011الساعه ١٢:٠٢ am | .

انطلقت منذ عشرين عاماً حاملة التراثين العربي والسرياني ثقافةً وأداءً وصوتاً وتعبيراً في كتبها وألحانها ودراساتها. بحثت عن الأغاني النادرة فأحيتها، وتعدّ راهناً كتاباً حول تقنية الغناء العربي مستفيدة من اللحن السرياني والتجويد القرآني.
غادة شبير فنانة لبنانية جالت أخيراً بالموشحات والمواويل والقصائد والأدوار بين قبرص وأبو ظبي ودبي والجزائر لتحطّ رحالها مجدداً في لبنان.
عن نمطها الموسيقي المتميّز وفنها تحدثت إلى «الجريدة.«

كيف تحددين النمط الموسيقي الذي تقدمينه؟

أقدّم الموشحات والغناء الطربي والمواويل والقصائد والأدوار، كذلك الغناء السرياني وأجري أبحاثاً متعلقة به وأحيي حفلات.

لكنك تسيرين عكس التيار السائد اليوم!

لا يهمني ما يقدمه الآخرون وما هو رائج في السوق. أبحث عن أعمال تراثية وأقدم ما يستأهل أن يبصر النور وأضعه في الواجهة عبر غنائه. الجمهور بطبيعته ذوّاق ويقيّم ما هو جميل.

ألا يتطلب ذلك شجاعة منك؟

يتطلب علمًا ومعرفة ونظرة شاملة إلى الأمور، وهو يصبّ في إطار تخصصي العلمي، لذلك أقدّم العمل الموسيقي المهمّ بطريقة ملائمة من دون التوقف عند آراء الآخرين لأنني أثق بأنه سينجح.

انطلق فنانون كثر من الغناء الملتزم، لكنهم عادوا وواكبوا الأغنية الرائجة. كيف تحصنين نفسك؟

التزمت في طريقي هذه منذ أكثر من ٢٠ سنة، جلت خلالها في الغرب والشرق، لم أفكر يومًا بالأمر، خصوصًا أن الطلب على كل عمل أقدمه يستمر أكثر من سنتين، ولا أجد صعوبة في تقديم النمط الذي أحب. لست مغنية ملاه ولا مغنية يومية أو أسبوعية، أنا فنانة تغني أعمالا صحيحة ذات مستوى عالٍ.

هل تكفي الدراسة وحدها في نجاح الفنان؟

لو أردت أن أشبه أي فنان آخر على الساحة لتخليت عمَّا أحب لمواكبة ما هو سائد، أما لو أردت الاستمرار في الطريق التي اخترتها، فعليّ تقديم حفلات لإظهار أعمالي واستكمال الأبحاث في آن، عندها تكون الدراسة كافية.

كيف تستقطبين الشباب إلى نمطك الموسيقي؟

ثمة وعي في المجتمع، على رغم مما هو سائد على الساحة. من يستمع إلى أغنية شبابية يطلب الاستماع إلى أغانٍ تراثية أيضاً. تحتاج الحياة إلى كل شيء ليكتمل الإحساس، ونحتاج نحن إلى أغانٍ راقية وجميلة وإلى ما يذكرنا بأعمالنا المهمة. لو سرت على طريق الآخرين وقدمت النمط الرائج، سأكسب ربحاً مادياً وشهرة إنما على حساب العلم الموسيقي وانتشار المقامات العربية المنسيَّة والارتجال والتقاسيم الموسيقية.

قدمت التراث الشرقي على مسارح عالمية، هل تعتبرين أن الفنان سفير لبلاده؟
يُحكم على البلد انطلاقًا من الحكم على الفنان، فإذا كان مثقفًا ومحترمًا يرفع اسم بلاده، لأن أعماله تنعكس على الشعب الذي يمثله.

كيف يتفاعل الغرب مع غنائك بالعربية والسريانية؟

يعتبر الجمهور الغربي أن المقامات العربية غريبة عنه كونه يعمل على شكل الموسيقى المتآلفة. نحن نعمل على الجملة اللحنية أكثر من الجملة التوزيعية التي يفتقدها الغرب ويحاول العودة إليها، لذلك ينجذب إلى اللحن قبل اللغة، أما لناحية الكلمات فنترجمها أو نشرحها له.

هل يتطلب البحث عن الأغاني القديمة جهداً كبيراً؟

ألا تستأهل هذا الجهد؟ أبحث عنها في الكتب النادرة وفي الأغاني القديمة، فأحللها وأدرس قيمتها الفنية وأشرح دوافع تقديمي لها.

ما ميزتها؟

من ناحية القواعد الموسيقية هي مؤلفة بطريقة عميقة وصحيحة ورائعة وتنطلق من الفطرة بعيدًا من التأثر بالفكر الغربي ومكتوبة بجمالية وبشغف، فتأتي موسيقاها منسابة وبسيطة بشكل رائع حيناً، وصعبة وصحيحة على صعيد المقامات حيناً آخر. ارتكز الذوق الموسيقي سابقًا إلى الفطرة والمخزون العلمي الذي امتلكه الفنانون فكانت النتيجة ألحانًا رائعة وقيّمة.

لكل قصيدة إيقاعها الخاص، هل تعصرنين لحنها؟

أُدخل إليها التعبير لا العصرية. كان هدف الطرب في الماضي الوصول إلى نشوة الغناء، بينما يحتاج الجمهور اليوم إلى التعبير عن الشعور بالصوت الذي بدأ مع سيد درويش في بداية القرن العشرين واستمرّ مع عبد الوهاب والرحابنة وفيروز، لذلك لا مهرب من التعبير الأدائي في كل عمل يتمتع بجمالية معينة.

ما المقومات الفنية التي ترتكزين عليها في عملك؟

لتبيان قيمة الأغنية، أرتكز على طريقة إخراج الصوت بتقنية خاصة والعِرب والقفلات غير المتداولة اليوم.

ما الذي يميز التراث السرياني عن العربي؟

هما مختلفان. كانت السريانية لغة الشعوب القديمة ولغة التجارة لترتبط بعدها بالدين المسيحي فحسب. اقترن التراث السرياني الغنائي بالموسيقى الفطرية فجاءت ألحانه قصيرة ومتزاوجة مع بعضها البعض وقريبة من الفولكلور مثل العتابا وأبو الزلف والقرّادة والشروقي، أي اللحن المبني من ٣ علامات موسيقية. الموسيقى السريانية شبيهة بالموسيقى العربية كونها حلقية تترجم حال لغتها فاستمرت ألحانها الجميلة في لاوعي المستمعين العرب.

هل التراث السرياني أصعب من التراث العربي أو أسهل؟

هو أسهل من ناحية استعمال السلالم وأصعب في الأداء، أي أنه سهل ممتنع يحتاج إلى تجرد ذاتي لإظهار اللحن وإضافة التعبير إليه.

ما مشاريعك قيد التحضير؟

أحضر لإصدار أطروحتي الدكتوراه عن تقنية الغناء العربي في كتاب، أي كيف نستفيد من اللحن السرياني والتجويد القرآني أداء وعلمًا ومعرفة لابتكار تقنية غنائية نفتقد إليها في مجتمعنا الراهن. لم يقدم أحد لغاية اليوم أي تقنية ولم يقسّم الأصوات وفق ما يليق بها علميًا أو الطريق التي يفترض أن يسلكها المغني. يتطلب هذا الأمر سنوات من الخبرة والوقت لوجود أكثر من ١٥٠ نمطًا صوتيًا عربيًا متميزًا في الأداء والغناء.

تمزجين في أدائك بين التراث السرياني والتجويد القرآني.

طالعت القرآن الكريم واستمعت إلى التجويد القرآني الذي احترم قواعده ويجب الاقتداء بها صوتًا وأداء، كذلك نحن مجبرون على سبر أغوار اللغة السريانية، كونها أصعب من اللغة العربية.

نلت جوائز تقديرية عالمية أكثر من جوائز تقديرية لبنانية، فما تعليقك؟

لا أطالب بلدي بشيء ولا انتظر منه جوائز وتكريم على رغم أنني كرمت في بلدان كثيرة. عاش لبنان مخاضًا طويلا وقهرًا وحربًا وأظنّ أن ثمة ما هو أهم من التقدير، إذ يجب أن أقدم لوطني لا العكس، أريد أن أترك أعمالا جميلة تفيد الناس بغض النظر إذا فزت بتكريم أم لا.

هل يحافظ لبنان على موقعه كمركز ثقافي في الشرق؟

طبعًا، وأكبر دليل على ذلك نسبة الطلاب والمثقفين فيه، هو بلد العلم والمعرفة وأنامل أبنائه مطبوعة في العالم. للأسف، نخسر اللبنانيين الأذكياء والأكفاء الذين يرفعون اسم لبنان في الخارج.

هل تأخذ الاغنية اللبنانية حقها في العالم العربي؟

غنّى فنانون عرب باللهجة اللبنانية في الفترة الأخيرة ما أفرحني واعتبرته إضافة نوعية إلى أعمالهم. نحصد تعب الرحابنة ووديع الصافي وزكي ناصيف وكبار لبنان، لأن الدفة الفنية دارت نحو هذا البلد الصغير بعدما كانت باتجاه مصر.

هل المستمع العربي مسيّر أم مخير في ذوقه الفني؟

ثمة مستمع جاهل مسيّر يتلقى ما يقدمه الإعلام فيسير في دهاليزه، وآخر مخيّر يرفض ما يقدم له ويبحث عمَّا يرضيه.

كيف يتفاعل الجمهور الخليجي مع تراثنا اللبناني برأيك؟

يهوى الأغاني اللبنانية البلدية. لا أغني التراث الخليجي إرضاء للخليجيين بل أفضّل أن يقدموه بأسلوبهم الخاص. في المقابل، أقدم لهم التراث اللبناني بأسلوبنا الخاص، إذ لا يستطيع أحد تقديم لون تراثي غريب عنه بالجودة التي يقدمها أبناء البلد.